

الخصائص

من هذا النحو وهذه الصنعة المادّة الواحدة تتقلّب على ضروب التقلب كان غريبا معجريا . فكيف به وهو يكاد يساوق الاشتقاق الأصغر ويجاربه إلى المدى الأبعد . وقد رَسَمْتُ لك منه رسماً فاحتذِه وَتَقَيِّمْلَه تحظّ به وتُكثِر إعظام هذه اللغة الكريمة من أجله . نعم وتسترفدّ هـ في بعض الحاجة إليه فيعينك ويأخذ بيدك ألا ترى أن أبا علي C كان يقوِّى كون لام (أُثْفِيَّة) فيمن جعلها (أفعولة) واوا بقولهم : جاء يَثْفُة ويقول : هذا من الواو لا محالة كيَعده . فيرجح بذلك الواو على الياء التي ساقتها في يَثْفُوه ويثفيه . أفلا تراه كيف استعان على لام ثَفَا بِفَاء وَثَف . وإنما ذلك لأنها مادّة واحدة شُكِّلت على صُور مختلفة فكأنها لفظة واحدة . وقلت مرة للمتنبئ : أراك تستعمل في شعرك ذا وتا وذى كثيرا ففكّر شيئا ثم قال : إن هذا الشعر لم يُعمل كلاًه في وقت واحد . فقلت له : أجل لكن المادّة واحدة . فأمسك البتّة . والشيء يذكر لنظيره فإن المعاني وإن اختلفت معنيّاتها آوية إلى مضجع غير مُقَيِّصٍ وأخذ بعضها برقاب بعض باب في الإدّغام الأصغر .

قد ثبت أن الإدّغام المألوف المعتاد إنما هو تقريب صوت من صوت . وهو في الكلام على ضربين : أحدهما أن يلتقى المثلان على الأحكام التي يكون عنها الادّغام فيّ دغم الأول في الآخر